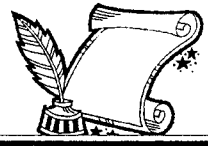




الْفَاضِلُ سُرُوحُ الْكَذِبِ

صَاحِبُ الْفِطْنَةِ وَالذِّكَا
وَأَعْلَمُ النَّاسِ بِالْقَضَاءِ



هو الفقيه أبو أمية ، شريح بن الحارث الكندي قاضي الكوفة .

أسلم في حياة النبي ﷺ ، وانتقل من اليمن زمن الصديق رضي الله عنه .

قيل لشريح ذات يوم : ممن أنت ؟

فقال : ممن أنعم الله عليهم بالإسلام ، وعدادي^(١) في كندة .

وعن ابن سيرين قال : أدركت «الكوفة» وبها أربعة ممن يُعد في الفقه .

وقال الشعبي : كان شريح أعلمهم بالقضاء .

ولاه عمر - رضي الله عنه - القضاء ، وله أربعون سنة .

ويقول هو عن نفسه :

وُلِيتُ القضاء لعمر ، وعثمان ، وعلى ، فمن بعدهم

إلى أن استعفيت من الحجاج !

وكان له يوم أعفاه الحجاج مئة وعشرون سنة ، وعاش بعدها سنة .

وكان أعلم الناس بالقضاء ذا فطنة وذكاء ، ومعرفة وعقل وإصابة .

ويقول ابن عبد البر : كان شاعرا محسنا ، وقاضيا له

(١) أعد من قبيلة كندة ، وأنسب إليها .

مكانته عند الخلفاء ، ومما يدل على مكانته أن على بن أبى طالب - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - الذى ضرب به المثل فى حُسْنِ القضاء ، فكان يقال : «قضيةٌ ولاَ أباً حَسَنَ لها» - جمع الناس فى الرحبة ، وقال : إني مفارقكم ، فاجتمعوا فى الرحبة ، فجعلوا يسألون حتى نَفِدَ ما عندهم ، ولم يبق إلا شريح ، فجثا على ركبتيه ، وجعل يسأله ، فقال له على : اذهب فأنت أفضى العرب !

وعن ابن سيرين : كان إذا قيل لشريح : كيف أصبحت ؟ قال : أصبحت وشطر الناس على غضاب !

وعن الشعبى قال :

قال شريح : إني لأصَابُ بالمصيبة فأحمدُ الله عليها أربع مرات :

- أحمدُهُ إِذْ لم يكن أعظم منها .
- وأحمدُهُ إِذْ رزقنى الصبرَ عليها .
- وأحمدُهُ إِذْ وفقنى للاسترجاع^(١) لما أرجو من الثواب .
- وأحمدُهُ إِذْ لم يجعلها فى ديني^(٢) !

ويقال : إنه كان لشريح بيت يخلو فيه يوم الجمعة ، لا يدرى الناس ما يصنع فيه !

فتعال نصاحب الفطنة والذكاء ، وأعلم الناس بالقضاء .

(١) الاسترجاع عند المصيبة : أن يقول : « إنا لله وإنا إليه راجعون » . وذلك دليل الرضا ، والصبر ، والتسليم .

(٢) فكل مصيبة فى غير الدين تهون .

شُرِيحُ فِي لَيْلَةِ زَفَافِهِ !

≡≡≡

عن الشعبي قال : قال لى شريح :

وعليك يا شعبيّ بنساء بنى تميم ، قال : وأخبرنى أنه تزوج امرأة منهم . قال :

فأقسَمتُ على أهلها بعد تمام العقد أن لا تبیت إلا عندي فقالوا : اللهم غَفْراً^(١)!! نريد أن نَجْلُوها^(٢) ونهيئها لك ! فقلت: حَسْبِي^(٣) ما رأيت ، وقد كنت رأيته قبل نكاحها ، فهيئوها ، ثم زفوها إلى من ليلتهم ، فأقبلت إلى مع النساء ، فلما وقفت بباب الحجرة ، واستخفى^(٤) تلك النساء منها ، دخلت البيت^(٥)، فقامت إليها ، فقلت :

أيتها المرأة ، إن من السنة إذا دخلت المرأة على زوجها أن يقوم الزوج فيصلى ، وتصلى خلفه ، ويسألان الله تعالى خيرَ ليلتهما ، ويتعوذان الله من شرها !

ثم تقدمت إلى الصلاة ، فإذا هى خفى ، فصليت ، ثم انقلبت فإذا هى على فراشها ، فأخذت بناصيتها فدعوت ، وبركت ، ثم مددت يدي فقالت : على رسلك !

ثم قالت : الحمد لله ، أحمده وأستعينه ، وأومنُ به ، وأتوكل عليه ، وصلى الله على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه وسلم .

أما بعد : : فإنى امرأة غريبة ، وأنت رجل لا أعرف أخلاقك ؛ فأخبرنى بما تحب فأتية ، وبما تكره فأجتبه !

(١) يقال : غفر الشيء : ستر - غفراً - بفتح الغين ، وغفرانا بضمها ، ومغفرة .

(٢) نزينها ونعدها .

(٣) يكفيني .

(٤) تركنها ، وبعدن عنها .

أقول قولى هذا ، وأستغفر الله العظيم لى ولك !

قال : فوجدت نفسى - ياشعبى - أخطب فى هذا المقام ،
فقلت : الحمد لله ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله
وصحبه وسلم .

أما بعد : فإنك قَدِمْتَ خَيْرَ مَقْدَمٍ على أهل دار ، زوجك خيرُ
رجالهم ، وأنت - إن شاء الله - خيرُ نسائهم !
أحبُّ كذا ، وأكره كذا . قالت :

فأخبرنى عن أختانك «أقاربى» أتحب أن يزوروك؟

قال : فقلت : إننى رجل قاض ، فأكره أن يَمْلُونى ، فبِت
بخير ليلة وأصبحت ، فأقمت عندها ثلاثاً ، ثم خرجت إلى
مجلس القضاء ، فلبثت فيه حَوْلًا ، لا أرى فيه يوماً إلا وهو
أحب إلىّ من الذى قبله !

فلما كان عند رأس السنة ، انصرفت من مجلس القضاء إلى
منزلى ، فإذا بعجوز تأمر وتتهى ، فقالت :

كيف أنت يا أبا أمية ؟

فقلت : ومن أنت ؟

فقالت : خَتَّتُكَ ^(١) .

فقلت : حَيَّاكَ الله بالسلام ، إنى بخير وعافية عافاك الله !

قالت : كيف رأيت صاحبك ؟

قلت : خير امرأة .

(١) حماتك . واختن - بفتح الخاء والتاء - كل من كان من قبل المرأة كأيها وأخيها ، وكذا زوج
البت ، وزوج الأخت .

قالت : إن المرأة لا تكون فى حالٍ أسوأ خُلُقًا منها فى حالتين :

● إذا حَظِيَتْ عند زوجها !

● وإذا ولدت غلاماً !!

فإن رأيت منها شيئاً ، فالسوط ، فإن الرجال ما حازت شيئاً إلى بيوتها شرّاً من الورهاء ^(١) المدلّة .

قلت : أشهد أنها ابنتك ، قد كفيتى الرياضة ^(٢) ، وأحسنست السياسة والأدب .

قال : فكانت تأتى فى كل سنة توصى بهذه الوصية التامة ، ثم تتصرف ، فذلك حيث أقول :

إذا زَيْنَبُ زَارَهَا أَهْلَهُ

حَشَدَتْ ، وَأَكْرَمَتْ زَوَارَهَا

وإنْ هِيَ زَارَتْهُمْ زُرْتُهُ

وإنْ لَمْ أَكُنْ أَتَيْتُهَا دَارَهَا

قال : فأقامت عندى عشرين سنة ، ما غضبت عليها يوماً قط ، ولا ليلةً إلا كنت لها ظالماً ؛ وذلك أنى كنت إمامَ قَوْمى ، فصليت ركعتى الفجر ، فأبصرت فى الدار «عقرباً» ، فأعجلنى المؤذن عن قتلها ، فكفأت عليها إناءً ، وأمرتها أن لا ترفعه حتى أرجع ، فجئت فوجدتها قد رفعتة ، فضربتُها بالعقرب ، فلو رأيته يا شعبى ، وأنا أستخرج الدم من إصبعها ، وأقرأ عليها فاتحة الكتاب والمعوذتين !!

قال : وكان لى جار من كِنْدَةَ لا يزال يضرب امرأته ، فذلك حيث أقول :

(٢) ترويضها وتأديبها .

(١) الحمقاء .

رَأَيْتُ رَجَالاً يُضْرِبُونَ نِسَاءَهُمْ

فَشَلَّتْ يَمِينِي حِينَ أَضْرَبُ زَيْنَباً !

أَضْرِبُهَا مِنْ غَيْرِ جُرْمٍ أَتَتْ بِهِ

إِلَى ، فَمَا عَذْرَى إِذْ كُنْتُ مَذْنِباً ؟

فَزَيْنَبُ شَمْسُ وَالنِّسَاءُ كَوَاكِبُ

إِذَا طَلَعَتْ لَمْ يَبْدُ مِنْهُنَّ كَوَكِبَا

وَمَاتَتْ فَوَاللَّهِ لَقَدْ بَغَضْتُ إِلَى الْحَيَاةِ ، وَأَفْسَدْتُ عَلَى النِّسَاءِ ،

فَوَدِدْتُ أَنِّي تَبِعْتُهَا !

أَوَّلُ الْجَوْرِ



وروى أن «عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ» - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - دخل مع خصمٍ له ذِمِّيٍّ ^(١) إلى القاضي شريح ، فقام له .

فقال على : هذا أولُ جَوْرِكَ !

ثم أسند ظهره إلى الجدار وقال :

أَمَا إِنْ خَصِمِي لَوْ كَانَ ذَمِيًّا لَجَلَسْتُ بَجَنْبِهِ !

وهكذا وضع المسلمون الأوائل أسس العدالة !

فالناس سواء أمام القضاء ولِلذِمِّيِّ مَالُنَا ، وَعَلَيْهِ مَا عَلَيْنَا ،

فَمَا بَالُنَا بِمَنْ كَانَ مُسْلِمًا ؟ !

أَنْتِ مِنْ أَفْضَلِ النَّاسِ



وروى أن عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : اجْمَعُوا إِلَى الْقُرَّاءِ ، فَاجْتَمَعُوا فِي

رَحْبَةِ الْمَسْجِدِ فَقَالَ : إِنِّي أَوْشِكُ أَنْ أَفَارِقَكُمْ ؛ فَجَعَلَ يَسْأَلُهُمْ :

مَا تَقُولُونَ فِي كَذَا ؟ مَا تَقُولُونَ فِي كَذَا ؟ وَشَرِيحٌ سَاكِتٌ !

(١) من بيننا وبينه عهد من أهل الكتاب . والجور : الظلم .

ثم سألته ، فلما فرغ منه قال ^(١) :

اذهب فأنت من أفضل الناس أو من أفضل العرب ! وهكذا يحكم
لشريح أفضى الصحابة : الخليفة الذى كان يقضى في العويس من
القضايا حتى قيل فيه : « قضية ولا أبا حسن لها » .

المُستشارُ مؤتمن



يُروى أن زياد بن أبيه - وكان جباراً فى الأرض - كتب إلى
معاوية : يا أمير المؤمنين ! قد ضببت لك العراق بشمالى ،
وفرغمت يمينى لطاعتك ، فولّنى الحجاز !

فبلغ ذلك عبد الله بن عمر - رضي الله عنه - وكان مقيماً بمكة ،
فقال : اللهم اشغل عنا يمين زياد !

فأصابه الطاعون فى يمينه ! ، فجمع الأطباء واستشارهم
فأشاروا عليه بقطعها !

فاستدعى القاضى شريحاً ، وعرض عليه ما أشار به
الأطباء ، فقال له :

لك رزق معلوم ، وأجل محتوم ، وإنى أكره إن كانت لك مدة
أن تعيش فى الدنيا بلا يمين !

وإن كان قد دنا أهلك أن تلقى ربك مقطوع اليد ، فإذا قال
لك سائلاً : لم قطعتها ؟

قلت : بُغضاً فى لقائك ، وفراراً من قضائك !

فمات زياد من يومه !

فلام الناس شريحاً على منعه من القطع ، لبفضهم له !

(١) بعد أن تبين له الفرق بين شريح وغيره .

فقال : إنه استشارنى ، والمستشار مؤتمن ، ولولا الأمانة فى المشورة لَوَدِدْتُ أنه قطع يده يوما ، ورجله يوما ، وسائر جسده يوما فيوما !

لقد أقررت على نفسك

أقر رجل عند شريح بشيء ، ثم ذهب لينكر ، فقال له شريح : قد شهد عليك ابنُ أخت خالتك !
يعنى أنك أقررت على نفسك !

لبن طيب وعلف مجان

كان شريح رجلا فكها ، حلوالدعابة ، سريع البديهة .
اشترى رجل من رجل شاةً ، فإذا هى تأكل الدبى^(١) !
فخاصمه إلى شريح فقال : لبن طيب وعلف مجان !

ذل اللؤم ، وذل الرد

كان شريح يقول : مَنْ سأل حاجةً ؛ فقد عرض نفسه على الرقّ !

فإن قضاها المسئول ؛ فقد استعبده^(٢) بها !

وإن رده عنها ، رجع حُرّاً ، وهما ذليلان :

هذا بذلّ اللؤم ، وذاك بذلّ الرد !

والإنسان - كما يقولون - : «عبد الإحسان» وقد قال الشاعر :
أحسن إلي الناس تَتَّعِبْ قلوبهم

فطالما استعبد الإنسان إحسانُ

(١) الدبى : الجراد قبل أن يطير ، أو أصغر ما يكون الجراد ..

(٢) الرق : العبودية ، والإنسان - كما يقولون - عبد الإحسان .

صاحب تعريض !

كان شريح عند زياد - وهو مريض ، فلما خرج من عنده ، أرسل إليه مسروق بن الأجدع رسولا ، وقال : كيف تركت الأمير ؟

فقال : تركته يأمر وينهى .

قال مسروق : إنه «صاحب تعريض»^(١) ، فارجع إليه واسأله : ما يأمر ؟ وما ينهى ؟

قال : يأمر بالوصية ، وينهى عن النّوح !

الأمين على السر

جاء رجل إلى شريح ، فكلّمه بشيء ، وأخفاه ، فلما قام ، قال له رجل : يا أبا أمية ، ما قال لك ؟

فقال له شريح : يا ابن أخي ، أو ما رأيته أسرّه منك ؟

فإلى الذين يحشرون أنوفهم لمعرفة أسرار الناس ، وخبائهم نهدي قول شريح : أو ما رأيته أسرّه منك ؟!

صبر جميل

مات ابن شريح ، فلم يشعر بموته أحد ، ولم تصرخ عليه سارخة ! فقيل له : يا أبا أمية ؛ كيف أمسى ابنك ؟

فقال : سكن علّزه «كربه وقلقه واضطرابه» .

وما كان منذ اشتكى أسكن منه الليلة !

(١) التعريض : عدم التصريح بالشئ والكناية عنه ، والتعبير عنه عن طريق الرمز ، وبطريق غير مباشر .

• كيف أصبحت ؟

كان شريح إذا قيل له : كيف أصبحت يا أبا أمية ؟!

قال : أصبحت ونصف الناس على غضاب !

وهكذا شأن من يقول الحق ، ولاتأخذه في الله لومة لائم ،
وخير شاهد على هذا قول الإمام علي - رضي الله عنه . « إن
قول الحق لم يدع لي صديقاً ».

بكاء المرأة



حكى عن الشعبي أنه قال : شهدت شريحا ، وجاءته امرأة
تخاصم زوجها ، فأرسلت عينيها ، فبكت ! فقلت : يا أبا أمية ،
ما أظن هذه البائسة إلا مظلومة !

فقال : يا شعبي إن إخوة يوسف جاءوا أباهم عشاء
يكون^(١) ، وهم ظالمون ! وتأبيداً لهذا يقول أمير المؤمنين عمر
ابن عبد العزيز :

إذا أتاك الخصم ، وقد فُقت عينه ، فلا تحكم له حتى يأتي
خصمه ، فالعله فُقت عيناه جميعاً !

وكتب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب إلى معاوية : إذا تقدم
الخصمان ، فعليك بالبينة العادلة ، أو اليمين القاطعة ، وإدناء
«تقريب» الضعيف حتى يشتد قلبه ، وينبسط لسانه .

وتعاهد الغريب ، فإنك إن لم تتعاهده سقط حقه ، ورجع إلى
أهله ، وإنما ضيع حقه من لم يرفق به !
وأس بين الناس في لحظك وطرفك .

(١) إشارة إلى ما جاء في الآية الكريمة رقم ١٩ من سورة يوسف «وجاءوا أباهم عشاء يكون» .

وعليك بالصلح بينهم مالم يتبين لك فصل القضاء!
وهكذا أقام الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز صَرَحَ
العدل ؛ فلا غرابة إذا كان خامس الراشدين !

سلطة القاضي



قال شريح : إنا لا نعيب الشهود ، ولا نلقن الخصوم ، ولم
نسلط على أشعاركم وأبشاركم ^(١) ، إنما نقضى بينكم ، فمن
سلم لقضائنا فيها ، ومن لا ، أمرنا به إلى السجن .
وهكذا كان شريح يعرف للناس حقوقهم قبل أن تكون هناك
جمعيات لحقوق الإنسان .

حيلة بارعة



تقدم إلى شريح قوم فقالوا :
إن هذا خطب إلينا ، فقلنا له : ما تبيع ؟
قال : أبيع الدواب ، فزوجناه ، فإذا هو يبيع السنانير
«القطط - جمع سنور» .
فقال : شريح : أفلا قلتم له : أى الدواب من الدواب ؟
إن السنانير دواب ، وأجاز النكاح .
لقد سبق شريح عصره؛ فجاءت أحكامه نموذجا يُحتذى ،
ومرجعاً للقضاة بعد عصره ومنارةً يهتدي بها الباحثون عن
الحق والعدل !

(١) الأشعار : جمع شعر ؛ ما ينبت على الجسم ، والأبشار : جمع بشر ، وهو ظاهر الجلد ، وبشر
جمع بشرة ، فأبشار جمع الجمع .

إياكم والجواب

≡≡≡

قال الشعبي : كان شريح يقول : إياكم والجواب ، فقلنا له :
يا أبا أمية ، إنك لتكثر من هذا ؟
فقال : قد آن لكم أن تسألوني .

تقدم إلى رجلان ، فأكثر على أحدهما ، فقلت :
أظنك ضعيفاً ! فقال : ما على ظنك خرجت من أهلي !
فكرهت أن يجئ منه غيرُ هذا فكففت ^(١) عنه !

أحد أعوانه يضحك

≡≡≡

كان شريح في منزل القضاء ، فنظر إلى رجل من أعوانه
يضحك !

فقال : ويلك ! أتضحك ، وأنا أتقلب بين الجنة والنار ؟

● لماذا تلكا ؟

أقام رجل شهودا عند شريح ، فاستحلفه ، فتلكأ ، فقال له :
ساء ماتتني على شهودك ^(٢) !

لماذا اعتزل القضاء ؟

≡≡≡

انصرف شريح يوماً من مجلس القضاء ، فلقية رجل ؛ فقال
له : أما حان لك يا شيخ أن تخاف الله وتستحي ؟

(١) إذا كان الصمت من ذهب أحيانا ، فإن أولى الناس بالصمت أولئك الذين لا يحسنون الرد ،
ولا يجيدون فن الحوار .

(٢) يقصد أن تكلو صاحب الحق عن الحلف فيه قدح في ذمة الشهود ، لأن امتناعه عن الحلف مع
استعداد الشهود لأداء الشهادة ربما كان فيه مظنة اتهامهم بالتزوير .

قال : ويلك !

قال شريح : من أى شىء !؟

قال : كبرت سنُّك !!

وفَسَدَ ذهنُك !!

وكثر نسيانُك !!

وادَّهَنَ كاتبُك «نافق وأظهر خلاف ما يُبطن» . وارتشى ابنك !

فصارت الأمور تجوز عليك !

فقال : لا والله ، لا يقولها لى أحد بعدك !

واعتزل القضاء ، ولزم منزله^(١) !

حازما حتى على نفسه ، عندما بلغه ما قد يسئ إلى سمعته

ومكانته ، ومنصب القضاء فوق الشبهات !

ألا ليت العاجزين عن أداء الواجب في شرف وأمانة يعتزلون

فى الوقت المناسب !

خصومة فى هرة



اختصم إلى شريح امرأتان فى ولد هرة ، فقال : ألقوها مع
هذه فإن هى قرَّت ، ولزَّت «لصقت بها ولم تهرب» واسبطرَّت
(اضطجعت) فهى لها ! وإن هى هرَّت (صوَّتت) ، وفَرَّت ،
وازبأرَّت «انتفشت وتهيات للمشى» ، فليست لها !

(١) نثر الدرج ١٤٣/٥ ، ووردت برواية مختلفة فى عيون الأخبار ، المجلد الأول : ٦٢

رُئى شريح يجول فى الأسواق والطرق ، فقيل له : ما غدا بك ؟ فقال : عَسَيْتُ أَنْ أَنْظُرَ إِلَى صُورَةٍ حَسَنَةٍ ^(١) !

• عليك بالشريف العفيف

حين استعفى ^(٢) شريح استشاره الحجاج فيمن يوليه، فقال شريح: عليك بالشريف العفيف «بلال بن أبى بردة» جده أبو موسى الأشعرى ، وهو قاضى عمر ، وأحد الحكمين .
والمستشار مؤتمن ، كما قالت العرب .

قاض يدافع عن نفسه

قالت امرأة لشريح : إنك قضيت عَلَىّ وظلمتنى ، واللّه يُدْخِلُكَ النَّارَ .

فقال لها شُريح : أمّا أنا فلا أدخلها إلا بعد سبعة: وهم :
الذى علمنى ، والذى ولانى ، والذى جاء بك إلّى ، والشاهدان ،
والمزكّيان ! «اللذان يخبران بأن الشاهدين عدلان» .

ألا فليتق الله كل أولئك ، وما الله بغافل عما يعلمون !

قمة العدالة

قال الشعبى : كان بين عبد الله بن شريح وبين قوم خصومة ،
فقال : يا أبة ، إن بينى ، وبين قوم خصومة !
فإن كان الحقُّ لى خاصمتهم !

(١) وإذا كان الفقهاء يقولون : «لا يقضى القاضى وهو غضبان» حتى لا يحيد عن الحق ، فإن الجمال الذى أبدع الله الكون عليه له أثره فى اعتدال مزاج القاضى وقد أمرنا بالنظر فى بديع خلق الله !

قال : اذكر لى قصتك ، فذكر ماله .

قال شريح : إيتنى بهم ، فلما أتاه بهم ، قضى على ابنه !
فقال له ابنه لما رجع : يا أبة ! لو لم أخبرك بقصتى كان
أعذر لك عندى ، فقال له : يا بنى أنت أعز على من ملء
الأرض مثلهم ، والله أعز على منك !
كرهت إن أخبرتك أن القضاء عليك أن تخافهم فتصالحهم !
وأراك تقول مع شاعرنا العربى :
وانما المرء حديثٌ بَعْدَهُ
فكن حديثاً حَسَناً لمن وعى

وسوف يظل شريح رمزا للعدالة ما بقى الدهر !
إلى جانب إياس ، والقاضى أبى يوسف ، وكل الشرفاء !

القضاء الإدارى فى الإسلام

وقبل أن نقول : وداعا ، لابد من فكرة عن «القضاء الإدارى
فى الإسلام» ...

كان النبى ﷺ يتولى القضاء بنفسه ، أو يُنيب عنه فى ذلك
أحدًا من صحابته رضوان الله عليهم - وكذلك فعل أبو بكر
رضي الله عنه !

وخلال هذه الفترة لم يظهر القاضى المتخصص ، الذى
يتفرغ لما وكل إليه ، والذى يقلد ولاية القضاء على وجه
التحديد .

وفى عهد عمر رضي الله عنه - خطا التنظيم الإدارى خطوة جريئة
بظهور القاضى المتفرغ الذى لا يلى إلا القضاء ، فعهد بالقضاء

إلى ثلاثة من أهل الدين والعلم ، فجعل «أبا الدرداء» معه فى المدينة .

وبعث «شريحاً» إلى «البصرة» .

وولّى «أبا موسى الأشعرى» بالكوفة .

وكتب إلى «أبى موسى» كتاباً يعتبر «دستوراً فى القضاء»
ودليلاً إلى تحقيق العدالة .

أما الخطوة الثانية لتطور النظام القضائى فكانت بتعيين قاض للقضاة فى عهد هارون الرشيد الذى قلد هذا المنصب أبا يوسف الحنفى صاحب «كتاب الخراج» فكان بمثابة «القاضى الأول» ، وإليه يرجع أمر القضاة فى جميع البلاد الإسلامية أشبه ما يكون بال مفتى فى عصرنا ، أو بوزير العدل ، وكان له ديوان يعرف بديوان قاضى القضاة من أشهر عماله :

الكاتب ، والحاجب ، وعارض الأحكام .

رحم الله كل من وقف إلى جانب الحق ، ورفع لواء العدالة !

وقال الحقّ ولو على نفسه وأهله !

